مقدمة

ماذا يحصل لو أننا نرى العالم بلون واحد، أو بالأسود والأبيض؟ سيبدو العالم غير جميل بالتأكيد. وسوف لا تكون هناك أزهار ملونة، ولا أشجار وبنايات وملابس وستائر وفواكه وسيارات... بألوان متعددة. ولا كتب ومجلات مصورة يستمتع أطفالنا بألوانها الزاهية، ولا لوحات وأعمال فنية جميلة تمنحنا متعة لا تحد بزهو وتجانس ألوانها، وتجعلنا نحب الحياة والطبيعة ونعظم قدرة الإنسان في إبداعه الفني.

وإذا كنا نعي ما تضعه الحياة وتعقد الحضارة من ثقل متزايد على أهمية اللون في المجالات التطبيقية، كإشارات المرور وأضواء المطارات والموانئ... فإن قسماً كبيراً منا لا يزال غير ملمٍ بأهمية سيكولوجية اللون، سيما وأن اللون هو خبرة سيكولوجية قائمة على أساس فيزيولوجي.

إن اللون موضوع معقد، وهو جزء مهم من خبرتنا الإدراكية الطبيعية للعالم المرئي، واللون لا يؤثر في قدرتنا على التمييز بين الأشياء فقط، بل ويغير من مزاجنا وأحاسيسنا، ويؤثر في تفضيلاتنا وخبراتنا الجمالية بشكل يكاد يفوق تأثير أي بعد آخر يعتمد على حاسة البصر أو أي حاسة أخرى.

إننا نعرف الكثير عن الألوان، غير أن معظم ما نعرفه لا يصل إلى مستوى الفهم العلمي. فالمشاهد العادي، على سبيل المثال، يعرف أن الألوان تكون على سطوح الأشياء. وقول كهذا يعني أن اللون هو خبرة بصرية تتعلق بالنظام البصري فقط، وهو قول عديم المعنى بعيد عن الفهم العلمي، ذلك أن الضوء لا يكون على سطح الشيء أو في سطح الشيء. فاللون الأحمر لا يكون على سطح التفاحة، ولا في فوتونات أشعة الضوء نفسها، بل هو خبرة إدراكية تنشأ كوظيفة لخواص محددة للضوء الذي تتسلمه المتسلمات البصرية، فيثير بصورة انتقائية أنماطاً مختلفة من المتسلمات يجري بالمقابل ترميزها بشكل انتقائي أيضاً.

يقع هذا الكتاب في قسمين، يتناول القسم الأول والرئيس فيه فيزيولوجيا وسيكولوجيا إدراك اللون، ويشتمل على أربعة فصول، يمهد الفصل الأول منها بتعريف لمفهوم أو معنى الإدراك من الناحية العلمية السيكولوجية. ويتناول الفصل الثاني تشريحاً لفيزيولوجية العين، فيما يتناول الفصل الثالث خصائص اللون وقوانين مزج الألوان وعمى الألوان ونظريات رؤية الألوان ونتائج التجارب الحديثة في رؤية اللون، وموضوعات أخرى تتعلق بالتمييز اللوني. ويحاول الفصل الرابع أن يجيب عن السؤال المتعلق بكيفية إدراكنا للون من الناحية السيكولوجية ضمن تأثيرات اللغة والحضارة والمجتمع.

ويتناول القسم الثاني ظاهرة إدراك الشكل، ويتضمن مقدمة وفصلين يتعلق أولهما بدراسة الشكل وقوانينه الإدراكية، ويتابع ثانيها تطور إدراك الأشكال عند الأطفال.

ومن المأمول أن يسد هذا الكتاب حيزاً من مجاله في المكتبة العربية. ويكون عوناً للمعلمين والمدرسين ومصممي الخرائط ووسائل الإيضاح، ومصدراً مهماً لطلبة أكاديميات ومعاهد الفنون الجميلة، وللعاملين في مهن وفعاليات أخرى يشكل اللون والشكل فيها عنصرين أساسين، وبخاصة في المجالات العسكرية والصحفية، ولكل من يستمتع بجمالية اللون والشكل.

ولا يسعني إلا أن أسجل شكري وتقديري إلى دائرة الشؤون الثقافية بوزارة الإعلام على طبعها ونشرها هذا الكتاب، متمنياً للعاملين فيها النجاح والتوفيق في خدمة العلم ونشر المعرفة.